رأي القدس

# يوم الجثث في العراق

■ يعتبر يوم امس الاربعاء من اكثر الايام دموية منذ الاحتلال الامريكي للعراق، فقد تم العثور على سبعين جثة، بينما جرى قتل اربعة وثلاثين شخصاً، من بينهم رجال في الشرطة، في انفجار سيارتين مفخختين شرق العاصمة العراقية.

هذا التصاعد المرعب في ارقام القتلى يأتي بعد بضعة ايام من اعلان القيادة العسكرية الامريكية عن تراجع اعمال العنف في العراق، واعتبرت ذلك نتيجة للخطة الامريكية التي طبقتها الحكومة العراقية في العاصمة.

احصاء عدد ضحايا الانهيار الامني في العراق بات عملية صعبة بل وشبه مستحيلة، بسبب كثرة الهجمات وتعدد الجهات التي تقف خلفها. بعضها طائفي التوجه والهدف، وبعضها الآخر يتكون من عصابات الجريمة المنظمة التي توسعت دائرة عمليات السطو المسلح التي تنفذها يومياً في مختلف المدن العراقية.

الانسان العراقي لم يعد آمناً في بيته بعد مرور ثلاث سنوات ونصف السنة على بدء الاحتلال الامريكي، وهناك اسر لا تغادر منازلها خوفاً من القتل او السلب أو الاغتصاب، وان غادر احد افرادها فلدقائق معدودة، وللضرورة القصوى، واحتمالات عدم عودته اكبر بكثير من احتمالات عودته سالماً الى بيته.

العراق يعيش حالياً حرباً اهلية معلنة، وعمليات تطهير عرقي وطائفي متصاعدة، حيث تلعب فرق الموت دوراً كبيراً في هذا الخصوص، ومعظم هذه الفرق ترتبط بشكل مباشر بالمليشيات الحزبية التابعة لجهات منخرطة في الحكومة.

السيد نوري المالكي وعد في بداية توليه لرئاسة الحكومة خلفاً للدكتور ابراهيم الجعفري بحل هذه المليشيات، وحماية المواطنين من تجاوزاتها، ولكنه لم يستطع حتى هذه اللحظة تنفيذ وعوده في هذا الخصوص، لانه وببساطة شديدة لا يستطيع، لعدم امتلاكه الادوات اللازمة، ولمحاولته تجنب صدام مع زعامة الائتلاف الحاكم.

الرئيس الامريكي جورج بوش قال في خطابه الذي القاه بمناسبة مرور الذكرى الخامسة لاحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) «ان سلامة الامريكيين تعتمد على نتائج الحرب في شوارع بغداد»، وهذا القول ينطوي على الكثير من المغالطات، لان ما يحمي ارواح الامريكيين في داخل الولايات المتحدة وخارجها هو اتباع سياسة خارجية عادلة تحترم القانون الدولي، وتطبق قرارات الامم المتحدة دون اي انتقائية او مواقف مزدوجة.

الرئيس بوش لا يمانع في تحول شوارع بغداد الى برك دماء من جراء السيارات المفخخة وعمليات القتل اليومية التي تنفذها فرق الموت، طالما ان المواطنين الامريكيين يعيشون في امان، وطالما ان الجماعات المتطرفة مشغولة بهذه الحرب الطائفية الدموية.

الاحصاءات شبه الرسمية تؤكد ان اكثر من مئة الف عراقي قتلوا من جراء الحرب الامريكية في العراق، بينما يموت حوالي ثلاثة آلاف شخص شهرياً من جراء عمليات الاغتيال التي تنفذها الميليشيات الطائفية في البلاد.

العراق اصبح كله مقبرة جماعية، ولكن الخطورة ان عمليات القتل اليومية المتصاعدة التي تستهدف الابرياء لم تعد تثير اهتمام الادارة الامريكية وحلفائها، ومهما كانت ضخامة حجم اعداد ضحاياها.

العدوان الاسرائيلي على لبنان صرف الانظار عن مأساتين مروعتين، اولاهما المجازر الطائفية والامريكية في العراق، والثانية الحصار التجويعي الخانق، وعمليات الاغتيال الاسرائيلية المتواصلة في الاراضي الفلسطينية المحتلة.

الآن توقف هذا العدوان، ولو بشكل مؤقت، وباتت الحقائق تطفو على السطح، حيث تبدو الصورة كئيبة ومؤلمة في الوقت نفسه في المنطقتين.

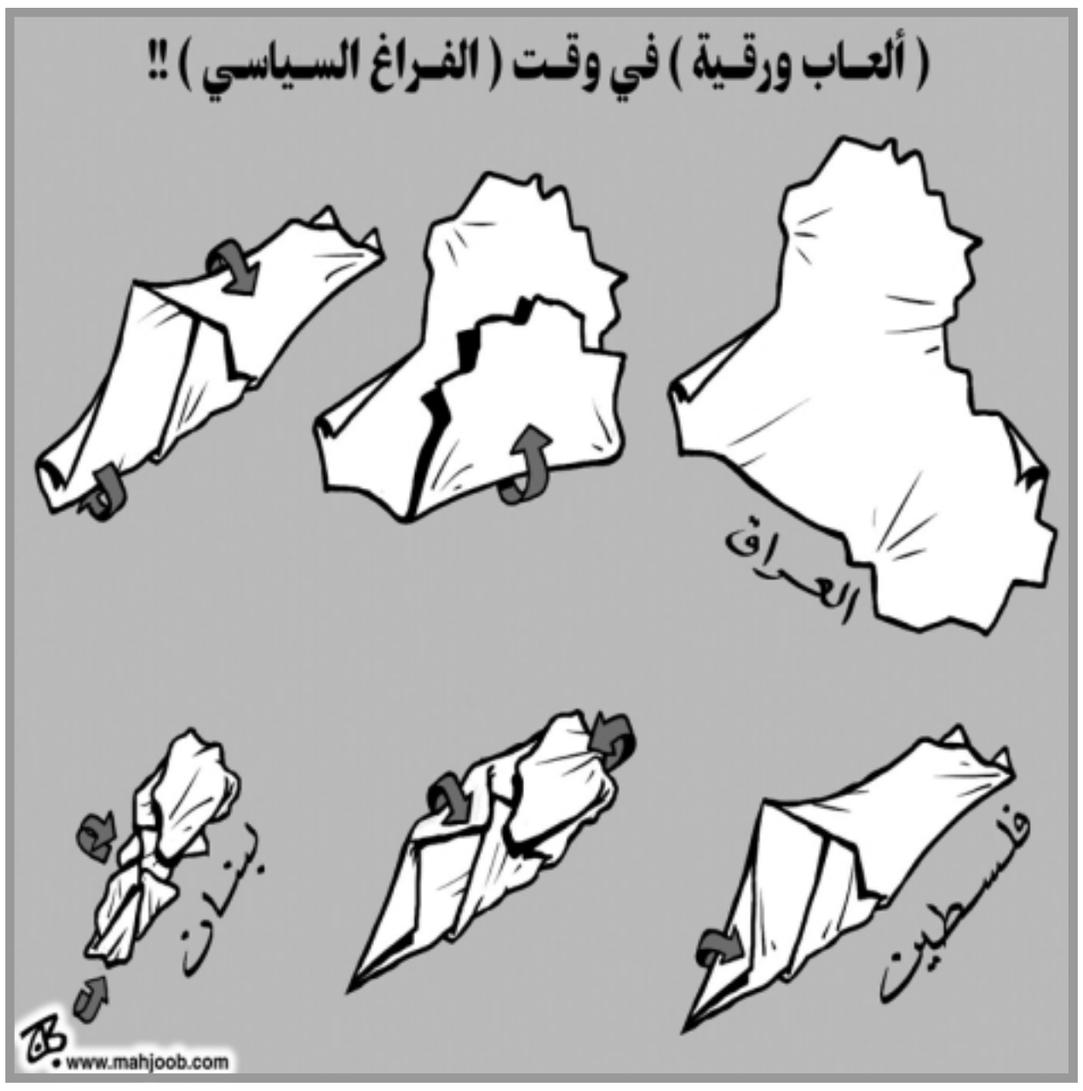


# السؤال الذي لم يتجاوزه التاريخ

د. علي محمد فخرو

■ في الأربعينات من القرن المنصرم تفتّقت عبقرية بعض المفكرين والمخططين السياسيين العرب عن مفهوم النضال الشعبي العربي المشترك. كان ذلك الفكر تعبيراً عن تمرُّد ثوري يرفض الاعتراف بواقع تقسيم الأمة والوطن ويتحدّى الحدود التي رسمها الاستعمار وأصحاب المصالح النفعيّة بين أجزاء الوطن الواحد. لقد أدركت تلك العبقرية، بحس تاريخي ثاقب، أن مواجهة الصهيونية والاستعمار وأصحاب المصالح اللاوطنية في الداخل لا يمكن أن تحقق النجاح إن لم تكن شاملة، تستقطب المانعة عند الشعب العربي كله وتجيش المناضلين السياسيين أينما كانوا. كان واضحاً أن النضال المحلي يجب أن يدعمه نضال قومي.

من هنا خرجت فكرة تنظيم وقيام الأحزاب والحركات القومية آنذاك من أمثال حزب البعث وحركة القوميين العرب والناصريين. لكن لأسباب كثيرة، ليس هنا مجال الخوض فيها، تشرذمت تلك التنظيمات أو ضعفت إلى حدود عدم الفاعلية أو دخلت في دوامة التصارعات السياسية المحلية وفقدت الكثير من زخمها النضالي القومي. ومع الوقت خبا ذلك الوهج الذي أبدعه المبدعون وحلّ محله ما نراه اليوم أمامنا من إنصياع تام للواقع القطري، ومن سقوط مذهل في شباك النضال المحلي الضعيف غير الفاعل، ومن دخول القوى السياسية العربية في مرحلة ضياع فكري وتنظيمي. ومع موت فكرة وحدة النضال العربي ماتت حتى أفكار التنسيق والتناغم والتعاضد بين المؤسسات السياسية العربية.

ومن هنا الصعود السريع المذهل لأصحاب المصالح والفاسدين والمفسدين والمستبدين عبر الوطن العربي كله، وعودة الاستعمار إلى إحتلال أجزاء من هذا الوطن، وتفاقم النفوذ الصهيوني حتى الوباء، وتراجع الدولة العربية عن مسؤولياتها الاقتصادية والاجتماعية تجاه الفقراء والمهمّشين، وابتعاد الأجيال العربية الجديدة عن الإنخراط في مؤسسات المجتمع المدني الملتزمة بقضايا الأمة الكبرى في حقول السياسة وغيرها.

السؤال الذي يطرح نفسه: هل أوضاع الأمة والوطن الحالية، والتي هي في حالة أسوأ بكثير مما كانت عليه في أربعينات القرن الماضي، لا تستدعي طرح السؤال المحوري ذاته الذي طرحه مفكرو ومناضلو العرب على أنفسهم منذ ستة عقود ؟ أي، هل هناك طريق آخر للخروج من جحيم الحالة التي يعيشها العرب منذ عقدين غير طريق النضال الشعبي المشترك، المتّجه نحو أهداف واحدة، الممارس للفعل اليومي ضمن تنظيم واحد، الواعي في كل لحظة لمبدأ أن خلاص الجميع هو في عمل وجهد الجميع، المدرك إلى أن وحدة أعداء الأمة وتناغم جهودهم بصورة مرعبة يحتاج لوحدة صفوف محاربي ومناضلي الأمة؟ ليس هذا بالسؤال الأكاديمي النظري، والتاريخ لايتجاوز إلاّ الأسئلة التي لا ارتباط بينها وبين الواقع. إنه سؤال يجب أن يجاب عليه لأنّ المظاهرات التي تشهدها المدن العربية احتجاجاً على هذا الحدث أو ذاك أو دعماً لهذا التوجّه أو ذاك، ولأنّ المؤتمرات التي تنعقد تحت كل أنواع المسميات وتخرج بمواقف عربية مشتركة لاتغير الواقع ولاتزيح الأخطار، هي وغيرها من نشاطات مماثلة تدور حول هذا السؤال المحوري ولكنها لا تدخل في صميمه.

لقد جرّب العرب كلّ شيء لقد جرّبوا الجامعة العربية ومؤتمرات القمّة والتكتلات الاقليمية والمحاور المتذبذبة بين بعض الدول وأشكال من الإتحادات الشعبية العربية المتعاونة بتمنع وحذر، جرّبوا كل ذلك دون جدوى. فالأمواج كبيرة والمتكالبون على جثّة الأمة يزدادون والمآسي والأحزان تنتشر في كل مكان، وأصبحت هذه الأمة بلا منازع مريض العالم ومريض العصر الذي حيُر الجميع.

وضع مثل هذا لن يجديه تقليد الطريق الذي اتبعته أوروبا أو أتّبعه هذا التكتّل أو ذاك، فالظروف مختلفة والأعداء مختلفون والعقبات مختلفة. إن الخروج منه سيحتاج إلى معاودة طرح الأسئلة إياها التي طرحها الأقدمون والإجابة عنها بلا موارية ولاخوف. مرة أخرى : التاريخ وتقادم السنين لايستطيعان تجاوز الأسئلة المرتبطة بأوجاع قلب الواقع.

# السعودية ومعضلة قيادة العالم الاسلامي

د. مضاوي الرشيد *

■ قد تخيب آمال من يتطلع الى دور قيادي يلعبه النظام السعودي على الصعيد العربي والاسلامي في زمن تتبلور فيه محاور متعددة تطمح للمنافسة وخطف الاضواء.

هناك تيار في العالم العربي ما زال يعلل النفس بالاحلام ويعلق الآمال على قدرة السعودية على تبوؤ الصدارة، اذ ان هذا التيار ينطلق من معطيات الجغرافيا كون السعودية حاضنة لمقدسات المسلمين وثروات نفطية كبيرة. فيستنتج هذا التيار ان بالسعودية امكانية تحويل حتمية الارث الديني والجغرافي والاقتصادي الى قوة قيادية فعالة على المستوى العربي والاسلامي.

وبعيدا عن هذه الآمال يجب ان ننظر بعين واقعية لفرص نجاح مثل هذا الحلم في الوقت الحالي وتحت هيمنة القيادة السعودية. يجب ان نعترف ان الدور القيادي عادة يتطلب ارضية صلبة تمكنه من تفعيل الدور بعيدا عن الشعارات الارتجالية والاحلام والاماني.

هناك ثلاثة عوامل مرتبطة ببعضها البعض تعيق تبلور دور قيادي للسعودية بتركيبتها الحالية.

العامل الاول مرتبط بانعدام الخطاب السياسي المحلي الذي يؤصل فكريا لمشروع القيادة المرجوة. يتميز الخطاب السعودي بفقر فكري وعمق متميز ويخلو من الرؤية المستقبلية التي على اساسها تتمكن السعودية من لعب دور القيادة.

الخطاب السياسي والذي يمكن رصده من خلال توثيق تصريحات رموز الحكم في رحلاتهم المكوكية الى عواصم عالمية وعربية واسلامية هو خطاب شعاراتي ارتجالي يدعي العقلانية والحكمة ولكنها تبدو غائبة عن الواقع، خاصة في لحظات تكثر وتتراكم فيها الازمات السياسية والدبلوماسية. من الملاحظ خلال السنوات الماضية ان مثل هذه التصريحات والتي اصبحت متداولة اعلاميا بكثرة بسبب تعدد وسائل الصحافة ومنافذها كانت دوما متضاربة ومتناقضة. ومن كثرة تناقضاتها نستطيع ان نجزم انها تدل على عبثية واضحة وانصهار مع خطابات تصدر خارج العالم الاسلامي والعربي من قبل زعماء بنوا امجادا في دولهم على ظهر الانتهاك الواضح والصريح لسيادة الدول العربية والاسلامية نفسها. هذا بالاضافة الى الملاسنات والعراك اللفظي الذي انخرط فيه بعض رموز الحكم مع خصومهم. خذ مثلا الملاسنات السعودية ـ العراقية او الملاسنات السعودية ـ الليبية او السعودية ـ القطرية وكلها تعكس انعدام قدرة الخطاب السياسي الدبلوماسي التعاطي مع ازمات العرب والمسلمين، الخطاب السعودي المشخصن يقابله على الجانب الآخر الخطاب الشعاراتي المفرغ من المضمون ومثال على ذلك التشديد على الوحدة العربية والتضامن الاسلامي من على منابر فقدت مصداقيتها ومؤسسات عربية وعالمية تجاوزتها المرحلة وهمشتها التغيرات الحاصلة على الساحة. فبين التلاسن المشخصن والشعار الفارغ فقدت السعودية او بالاصح قيادتها القدرة على طرح نفسها على الساحة وكأنها قيادة قد تتحمل في المستقبل مسؤولية الجغرافيا المقدسة والثروة النفطية التي تمكن من لعب دور القيادة. وان صدق البعض الخطاب الشعاراتي وانبهر بأبجدياته قد يصطدم هؤلاء بحقائق الواقع على الارض. وقفت القيادة السعودية موقف المتفرج بل حتى المساند لثلاثة مشاريع هيمنة غربية على المنطقة اولها كانت في افغانستان وثانيها في العراق وثالثها في لبنان ناهيك عن الموقف المعطل في القضية الفلسطينية خاصة خلال السنوات الأربع الماضية. بعيدا عن الشعارات نجد حالة شلل تامة تنسف اكبر شعار تحمله القيادة السعودية.

تفتقد السعودية الى الفعل الذي يؤصل مصداقية الشعار او الخطاب السياسي الوحدوي.

العامل الثاني الذي يضمن استمرارية حالة الشلل هو انعدام الخطاب الديني المستقل والذي بدوره قد يسهل عملية القيادة على المستوى العربي والاسلامي. شجع النظام السعودي تبلور خطاب ديني مغرق في محليته ومفرط في اقصائيته لدرجة انه قد اصبح غير قادر على استيعاب التعددية في داخل القطر ذاته فما بالك بالتعددية التي شهدها ويشهدها العالم العربي والاسلامي. وبما ان هذا الخطاب الديني الرسمي يتحرك بتوجيهات من السلطة السياسية نجده قد سقط في متاهات الازمات العربية في كل من العراق ولبنان وفلسطين بالاضافة الى افغانستان وغيرها من البؤر المشتعلة. واظهر درجة عالية من التخبط والتي هي بالنهاية تعكس تخبط القرار السياسي وارتباط هذا القرار بالمشروع الامريكي للمنطقة بأكملها. لو كانت للسعودية مؤسسة دينية مستقلة اثبتت ان فتاواها تعتمد على استقراء واجتهادات بعيدة عن هذا المشروع لما وصلت حالة القيادة الى هذه الدرجة من الانحدار ولاستطاعت السعودية ان تنهض بنفسها قبل ان تطمح لدور قيادي خارج حدودها.

العامل الثالث وربما الاهم في المعضلة السعودية هو انعدام الشخصية الكاريزماتية والتي هي ضرورة ملحة للعب دور القيادة. دون هذه الكاريزما لا تستطيع الرموز السياسية ان تحلم بدور فعال على الصعيد الداخلي والخارجي ولا يجب ان تفهم الكاريزما على انها دوما مرتبطة بالفتوة والشباب فكم من شيخ اثبت ان فيه روح الشباب وكم من شاب اثبت ان فيه شيخوخة الكهول، الكاريزما هي حالة وواقع مرتبط بحيوية ونضارة فكرية وليس جسدية كذلك هي حالة نفسية ومغنطيس يجذب البشر الى المركز القيادي ويجعل خطابه اسهل تقبلا واستيعابا. كذلك الكاريزما ليست دوما حالة غوغائية جماهيرية بل هي سمة ترتبط بالقدرة على الاقناع والتجاوب السريع مع الازمات والمراحل الحرجة. واذا اخذنا عينة من رموز الحكم في السعودية فسنجد ان هذه الكاريزما غائبة تماما على الساحة فلا فصاحة ولا قدرة على الاقناع بل حالة خنوع وتصريحات وخطب تأتي على استحياء ومن رؤوس مطأطئة وجفون واهية. لا توجد فتوة ولا نضارة ناهيك عن قدرة اقناع او حدة فكر.

هناك تراتيل روتينية تجتر من على المنابر وفي المؤتمرات الصحافية ما ان تنشر على صفحات الجرائد او تبث على شاشات التلفزيونات حتى تندثر وبسرعة غريبة. لا تستطيع هذه الشخصيات تحريك الآخر او بث روح جديدة في صفوف المشاهدين والقارئين.

ربما هذا من تداعيات التقدم التكنولوجي والذي استطاع ان يكشف هذه الشخصيات على حقيقتها ويظهر مدى تخلفها عن مسيرة القيادات الاخرى في اصقاع العالم. ولو كان باستطاعة شركات العلاقات العامة وشركات تحسين الصورة ان تنتشل هذه القيادة من حالة التردي لكانت قد خلقت نوعا من الكاريزما ولو المزيفة لوقت قصير لكن يبدو ان الوضع قد وصل الى حالة مأساوية تستعصي على اكبر الشركات واكثرها خبرة في تلميع الصورة. الكاريزما الغائبة عادة ما تضل عن طريق المراسيم والطقوس والبروتوكولات والتي قد تضمن بعض الابهة والوجاهة ولكن من كثرة هذه الطقوس اصبحت هي بدورها مبتذلة ومملة تكرس حالة غياب الحيوية الفكرية ووضوح الرؤية. فمثلا طقوس قصر الاليزية الفرنسي لم تستطع ان تنتشل رمزا من رموز القيادة السعودية من مأزق المؤتمر الصحافي والمواجهة مع طيف كبير من الصحافيين في احدى الحدائق عند مدخل القصر.

وبانعدام الكاريزما الشخصية لم تبق الا كاريزما البترودولار لتفعل فعلها في نفوس من سال لعابه عند اول صفقة طائرات.

في مرحلة غياب العوامل الثلاثة التي تضمن تبلور الدور القيادي تبقى السعودية رهينة حالة الركود والخيبة.

هذه الحالة كفيلة بتلاشي حلم العالم العربي السني بولادة قيادة تتحمل مسؤولية الارث الديني والموقع الجغرافي والثروة النفطية. وقد حاولت القيادة السعودية ان تفعّل الثروة النفطية لكسب نوع من الاعتراف بوجودها. فهي تحاول جاهدة توزيع الاموال على المناطق المنكوبة في العالم العربي والاسلامي بهدف التعويض عن الدور القيادي المفقود ونحن هنا لا نعترض على اعمال الاغاثة الانسانية بل ننوه الى التحول في معنى الاغاثة والذي اصبح مرتبطا بمحاولات انتشال القيادة السعودية من الفراغ. تحولت اعمال الاغاثة الى وسيلة تصلح دوما ما خربته الولايات المتحدة او اسرائيل في لبنان وفلسطين والعراق وافغانستان. فبدلا من ان يكون النفط دواء وقائيا يبعد الازمات نجده تحول بيد القيادة السعودية الى عامل اغاثة للسياسات الامريكية الفاشلة في المنطقة. فبدلا من ان يستعمل النفط قبل عمليات التدمير والقتل نجده يفعّل بعدها وبطريقة مبتذلة تدعم التوجه السعودي الرسمي وتحاول ان تجد له موقعا على الساحات المشتعلة.

لن يجد العالم العربي السني في القيادة السعودية وخطابها السياسي والديني ما يحركه لقبول دور ريادي متميز بل سيجد الكثير من المعطيات التي تنفره من هذا الدور فالشارع العربي اليوم مسيس الى درجة عالية ومحتقن ضد من يعتبره المسؤول عن حالة التشرذم والانتهاك للحقوق الجماعية والفردية لذلك ليس على القيادة السعودية بعد اليوم سوى التقوقع خلف خطابات شعاراتية تمجد ما يسمى بالوطن وعن اي وطن يتحدثون عندما يكون هذا الوطن منكوبا كغيره من المناطق المنكوبة في العالم العربي.

* كاتبة واكاديمية من الجزيرة العربية

# أخطاء الولايات المتحدة بعد هجمات ايلول

د. يوسف نور عوض *

■ احتفلت الولايات المتحدة بالذكرى الخامسة لهجمات الحادي عشر من ايلول (سبتمبر)، وقد شاركت معظم دول العالم في هذه الإحتفالات، وكانت الاحتفالات العربية ظاهرة على نحو خاص على الرغم من المواقف الأمريكية المعادية للعالمين العربي والإسلامي في أعقاب تلك الاعتداءات. وفي الحقيقة لم تكن المواقف العربية مجاملة أو قائمة على الرياء فمنذ اللحظات الأولى التي وقعت فيها الاعتداءات كانت المواقف العربية الشعبية والرسمية واضحة وهي في معظمها متعاطفة مع أسر الضحايا وشاجبة للاعتداءات ولكن المواقف العربية لم تقابلها مواقف أمريكية مماثلة. ذلك أنه منذ اللحظات الأولى وجه الرئيس الأمريكي جورج بوش أصابع الاتهام إلى العالم الإسلامي وأعلن أنه سيخوض حربا صليبية في مواجهة الذين قاموا بتلك الاعتداءات وأثبتت الأيام أنه لم يكن يعني الفئة التي ارتكبت تلك الأعمال بل عالما بكامله يزيد عدد سكانه عن المليار نسمة ولا شك أن الكلمة التي استخدمها الرئيس بوش وهي كلمة CRUSADE لها دلالات كثيرة وقد تعني المواجهة بشكل عام ولكن نتائج أعمال الرئيس جورج بوش تدل على غير ذلك.

وعلى الرغم من أن تنظيم القاعدة قد أعلن مسؤوليته عن ذلك الهجوم فقد كنا نتوقع من دولة كبيرة كالولايات المتحدة أن تتبع أسلوب البحث والاستقصاء ولكنها حتى بعد مرور خمسة أعوام على تلك الاعتداءات لم تفتح تحقيقا تقليديا يفتح عادة في مثل هذه المناسبات وبدأت في التصرف من منطلقات سياسية تثير كثيرا من الشكوك ليس في العالم الإسلامي وحده بل في داخل الولايات المتحدة ذاتها حيث بدأ الكثيرون يتساءلون ما إذا كانت الإدارة تتعامل مع تلك الحادثة من منطلقات الأمن القومي أم من منطلقات سياسية واقتناعات تؤمن بها الجماعة التي تسيطر على مقاليد الحكم في أكبر دولة في العالم، ومن واجبنا أن نتوقف هنا عند الأمور التي تهمنا في العالم العربي. ونلحظ في البداية أن الولايات المتحدة شنت حربا شاملة على أفغانستان وأسقطت نظام طالبان وذريعتها في ذلك أن نظام طالبان هو الذي يوفر الغطاء لتنظيم القاعدة وقالت في مقابل ذلك إنها تريد أن تقيم نظاما ديمقراطيا في البلاد ونجحت واشنطن في إقامة نظام موال لها ولكنها لم تستطع أن تحقق الأمن أو الديمقراطية في أفغانستان التي ما زالت تعاني من غيابهما بل إن الحرب في داخلها والمواجهة مع القوات الأمريكية لم تنته أيضا ولا يصدق أحد أنه بالإمكان إقامة نظام ديمقراطي في بلد كأفغانستان في ظل ظروفه الحالية.

وكان التوجه الثاني نحو العراق، وبدا الأمر غريبا لأن نظام صدام حسين لم يكن من الأنظمة المعادية للولايات المتحدة في المنطقة وهو قد تعاون معها في شن حرب على إيران كما تدخل في الكويت بضوء أخضر منها ولكن الولايات المتحدة تذرعت بأن هدفها من الحرب هو القضاء على البرنامج النووي العراقي وقد دلت جميع التقارير التي قدمتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن العراق لم يكن يملك برنامجا إنتاج سلاح نووي بل دلت حربه مع الولايات المتحدة على أنه لم يكن أيضا يملك جيشا لأننا لا نعرف أن العراق واجه الولايات المتحدة بأي قوات مسلحة، ولما وجدت الولايات المتحدة نفسها في هذا المأزق قالت إنها شنت الحرب بسبب تعاون صدام حسين مع تنظيم القاعدة ولكن الدلائل كلها في آخر الأمر دلت على أن صدام حسين لم يكن يقيم أي علاقة مع تنظيم القاعدة بل هو كان يخشى هذا التنظيم وعندما سقطت هذه الحجة تذرعت الولايات المتحدة بأن سبب حربها في العراق هو أنها أرادت أن تسقط نظاما دكتاتوريا وتقيم مكانه نظاما ديمقراطيا يكون أنموذجا يحتذى في المنطقة. ويتعجب الناس من سذاجة هذا الهدف لأنه حتى لو كان ذلك غرض الولايات المتحدة الحقيقي فإن اختيار العراق لتحقيق هذا الهدف لم يكن موفقا بسبب الاختلافات العرقية والطائفية والمذهبية في العراق وهي اختلافات ليست جديدة وإنما تاريخية جعلت الكثيرين من الذين حكموا العراق يؤمنون بأنهم يواجهون مهمة قاسية في تحقيق الوحدة في هذا البلد، وعلى الرغم من أن الرئيس بوش يتغنى بما تحقق في العراق من ديمقراطية فنحن نرى في العراق بلدا ممزقا والولايات المتحدة مسؤولة عن مقتل أكثر من مئتي ألف من مواطنيه وانعدام حالة الأمن في طول البلاد وعرضها وبدلا من أن نرى بلدا ينعم بالديمقراطية نرى بلدا يواجه خطر التقسيم والتمزق. وهو تقسيم إذا حدث فلن يتم في هدوء خاصة في المناطق الكردية لأننا نعلم أن المسألة الكردية لا تقتصر على العراق وحده وهي تهم بلادا أخرى مثل سورية وتركيا وإيران ولا نريد أن نحدد موقفا في ما يجب أن يكون ولكننا ننبه إلى احتمالات تفاقم الوقف بدرجة تعرض أمن المنطقة كلها للخطر.

ولا تتوقف المواجهة الأمريكية التي تستغل أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) عند هذا الحد بل رأينا الولايات المتحدة تفتح الملف الإيراني وتهدد طهران تارة بالعقوبات و أخرى بالمواجهة العسكرية، وإذا حللنا الموقف وجدنا أن الولايات المتحدة تكرر نفس الأخطاء التي ترتكبها في دعمها لإسرائيل ضد المصالح الفلسطينية المشروعة، ذلك أنها ترى أن امتلاك إيران لسلاح نووي يهدد إسرائيل كما يهدد مصالحها في المنطقة ولكن إيران أعلنت بوضوح أن برنامجها النووي لا يستهدف صنع سلاح نووي بل هو موجه نحو الأغراض السلمية ولكن الولايات المتحدة لا تقتنع بهذا المنطق كما لا تقتنع بمنطق أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة النووية والمقصود بذلك هو ألا تمتلك إسرائيل سلاحا نوويا إذ ما الذي يضمن للدول العربية أو غيرها أن إسرائيل لن تستخدم هذا السلاح ضدها والدلائل كلها تشير إلى أن إسرائيل تتبع سياسة عسكرية قاسية في مواجهة خصومها في المنطقة بل لديها نظرية عسكرية معروفة وهي الخيار شمشون الذي يعني استخدام السلاح النووي إذا كان هو الخيار الوحيد المتاح لها، فما الذي يجعل الولايات المتحدة تظن أن إيران أو دول العالم العربي ستتوقف عن محاولة إنتاج السلاح النووي ؟ وما الذي يجعل الولايات المتحدة تعتقد أنه لن يأتي يوم تستطيع فيه هذه الدول أن تتجاوز كل وسائل الحظر الأمريكية وتمتلك هذا السلاح؟

ونرى أن الولايات المتحدة مستمرة في ارتكاب أخطائها في المنطقة وأخرها تآمرها مع إسرائيل في الاعتداء على لبنان وهو الاعتداء الذي لقن تل أبيب درسا قاسيا وقلب الموازين كلها وإذا كانت المواجهة مع حزب الله هي جزء من المواجهة مع سورية فإننا نرى أن الولايات المتحدة تخطط بالفعل لمواجهة عسكرية مع سورية وإذا دل ذلك على شيء فإنه يدل على أن السياسة الأمريكية التي تحركها دوافع إسرائيلية تفتقر إلى المنطق العقلاني، ذلك أنه إذا نظرنا إلى طبيعة العلاقات بين العالم العربي والولايات المتحدة وجدنا أن الأمر كله لا يستدعي مثل هذه المواقف التي تتخذها الولايات المتحدة في مناهضة هذا العالم، ذلك أنه على المستوى الشعبي فإن هناك تقديرا حقيقيا للمنجزات الأمريكية وهي المنجزات التي جعلت الولايات المتحدة أقوى دولة في العالم، وعلى المستوى الرسمي فإننا نرى معظم الدول العربية تتخذ سياسات مهادنة مع الولايات المتحدة بل إن بعض الدول العربية ومنها الدول النفطية تتخذ سياسات ضد مصالح شعوبها بالتحكم في أسعار النفط وشراء أسلحة لا حاجة لها بها والاستثمار في الولايات المتحدة على الرغم من الخطورة ووجود فرص أفضل في أماكن أخرى، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الولايات المتحدة تتخذ مواقف معادية ضد العالم العربي، ولا نريد أن نذهب إلى أن الصراع يقوم على أسس دينية أو عقدية لأن إقحام الجانب الديني هو جزء من اللعبة السياسية التي ينفذها اليمين المتطرف لصالح إسرائيل دون أن يفكر في أن مصلحة إسرائيل ذاتها تكمن في تغيير السياسة الأمريكية بشكل كامل ذلك أننا رأينا خلال سنين الحرب الباردة أن الثقافة التي كانت سائدة في العالم العربي هي ثقافة القضاء على إسرائيل وإزالتها من الوجود ولكن هذه السياسة بدأت في التغير بعد الحرب الباردة ورأينا منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بإسرائيل ولكن بدلا من أن تلتقط إسرائيل الخيط وتحاول أن تؤسس لنفسها واقعا جديدا وجدنا أنها تتجه نحو استغلال حالة الضعف العربي إلى النهاية ومحاولة تحقيق مكاسب أكبر مما كانت تطمح إليه، وذلك خطأ استراتيجي يتمثل في موقفها من حركة فتح والرئيس الراحل عرفات ويتمثل الآن في موقفها من حركة حماس واعتقادها أن مجرد انتزاع موافقات على واقع تريده من الفلسطينيين ينهي النزاع بينها وبينهم وذلك وهم لان القضية الفلسطينية لا تحل إلا بالعدل الشامل وهو إقامة الدولة الفلسطينية وإعادة اللاجئين، وبدون ذلك يمكن أن تكون هناك حلول ولكنها ذات طبيعة مؤقتة سرعان ما تثبت الأيام أنها لن تنهي الصراع ولكنها ستؤجله إلى فترة من الوقت، وبالتالي فإننا لا نرى منطقا أو عدلا في أن تحاول الولايات المتحدة إيجاد الذرائع من أجل الاستمرار في سياسة مخطئة سوف تثبت الأيام أنها لن تحقق الأهداف الإسرائيلية ولن تحقق فائدة للولايات المتحدة بل ستقحمها في مشاكل هي في غنى عنها خاصة أن هناك الكثير من دول العالم بدأت تدرك أن الولايات تحصل على امتياز لا تستحقه وأهم هذه الإمتيازات احتكارها لأهم عملة في العالم وهي الدولار الذي تستطيع أن تطبع منه ما تشاء لتشتري إنتاج العالم دون أن يكون لديها ما تقدمه لهذا العالم سوى الأسلحة ووسائل الدمار.

* كاتب من السودان

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط)
فاكس: 8902 741 0208 أو 7637 748 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364